

ريكا .. نصيرة السلام

إن من كرم الله على الانسان فى حياته نعمة حسن الخاتمه .. من يكون بينه وبين دخول النار بضعة امتار فيعمل عمل أهل الجنة فيدخل الجنة ومن نعمته عليه عند مماته سوء الخاتمه حين يكون بينه وبين الجنة بضعة أمتار فيفعل فعل أهل النار فيدخل النار .. وشاء الله ان يكتب للفقيه الراحل الدكتور جون قرنق حسن الخاتمه .. وهو من أهل الكتاب فخرج متمرداً فى جنح الليل الى الغابة ليقاثل ويحارب ويخرب ويدمر .. ثم يعود طواعية فى وضح النهار الى رئاسة القصر الجمهورى ويشد على يد ساكنيه ويدخل البيوت من أبوابها .. لا بدبابه او مصفحة أو آلية عسكرية ولكن بصفة دبلوماسية تحمل أجمل معانى الإنتقال السلمى للسلطة.

وكان لقاء الثالث "قمة الحرب و السلم" فى بهو القصر الجمهورى أمام الكاميرات لوحة تاريخية تحمل كثيراً من الدلالات وترسل كثيراً من الاشارات الى الداخل والخارج .. بان فى هذه الأمة نبض حياة .. وجذور حضارة .. وجذوة مستقبل تنتظر الريح الآتية لتشعل شمعة السلام فى دهاليز الحرب والظلام.

لقد كان الرجل فى مستوى الحدث .. فظل يردد العبارات المؤمنة بالسلام .. ويرسل الإشارات الداعية الى الوحدة ويصدر التعليمات المؤدية الى الإستقرار بصورة بددت شكوك أشد المتشائمين .. وفاقت نبوءة أكثر الحالمين فى دهليز السياسة .. لقد قال فى بضعة أيام ما لم يقله آخرون فى عدة عقود ... وقد جاهد جهاداً حقيقياً ليؤكد أن ليست هذه خدعة وليست صفقة مؤجلة على الأقل بالنسبة له شخصياً وقيادياً ولكنه أجل مكتوب ومصير محتوم ..و الله فى خلقه شئون.

وكانت أجدته واضحة وخطواته متسقة .. وقراراته تصب فى مصلحة الوطن .. وان كانت تتدفق من تقوب مواعين أصحاب الأجندة الخفية .. وهذا ليس قدر الأوفياء ولم يكن مصدر خوف الأتقياء .. ولكنها دعوة حيطة وحذر من الغفلة والانسحاق وراء بريق الأحلام فى وقت الأزمات.

ولحكمة يعلمها الله وحده .. ولم تتجلى بعد للسائلين ..و لاجان المحققين رحل جون قرنق .. وقد وضع بذرة السلام وتعهد بسقيها للجميع حتى الذين ما زالوا يحملون السلاح فى جبهات أخرى هى أخرى بالحفاظ على السلام منه ان كانت محاربة معه أو مجاهدة ضده .. أو مناضلة من أجل عيون الوطن.

لقد استقبلت الجماهير الدكتور قرنق فى حشد يعبر عن استفتاء للوحدة واحتفاءً بالسلام حتى ولو صورت تزكية لقرنق .. أو مناصرة لأبناء الجنوب .. فالحدث كان بعنوان "استقبال بطل السلام" .. والذى عاد بعد اكثر من عقدين قضاها فى جبهات الحرب .. وعاد تحت مظلة السلام ومن باب الحكمة .. وبوابة الحكومة.

وقد كان واضحاً وضوح الشمس ان "كريزما" قرنق كانت أحد الضمانات الكبرى لتحقيق الوحدة وان كان (مانفستو الحركة) ينادى بها ويؤكد عليها ويفاوض بشعاراتها منذ أول جولة من المفاوضات.

ولكن بعيدا عن كل هذه الهوامش فى دفتر النكبة ..و ملابسات حادث الطائرة المشؤوم .. وحتى لا يزرع فى نفوسنا اليأس .. وينزع من قلوبنا الأمل فى ان نتصالح مع أنفسنا .. ونتوافق مع الآخرين فى الداخل والخارج .. ورحمة من رب العالمين، خرج من رحم هذه الكارثة المظلمة ضوء أمل جديد فى صوت شاهد على

العصر جاء ينادى ليشهد شاهد من أهل جون قرنق .. من بطن قبيلته ومن داخل أسرته ... ومن بين ضلوعه التي ضم عليها حلم حياته .. حلم العودة الى الوطن الكبير .. صوت زوجته السيدة الفاضلة، ربيكا قرنق.

أشبهه بالعصا السحرية التي تنظم ايقاع اوركسترا، الفوضى التي عمت الخرطوم وبعض المدن السودانية- وليس هذا مجال الخوض فيها ولكل مقام مقال في وقت لاحق باذن الله- لقد كانت فوضى منظمه .. فوضى لأنها تجاوزت المعقول والمقبول في التعبير عن الحزن أى حزن ومنظمة لأنها تركت آثارا مكتوبة على جباه الضحايا وواجهات المحال المستهدفة ولم تكن عشوائية بالإطلاق و لا عفوية باليقين كردة فعل تلقائية اثر حادث يدمع العين ويحزن القلب .. قلب اكثر الناس جهلا بالنوايا واكثر العقول غفلة في الخطايا ولكنه كان لا بد ان يحدث .. ولا نقول رب ضارة نافعة ولكن سوف نقول لماذا؟ في وقت لاحق... ولكن قطعاً أراد الله بهذا البلد خيراً حين وقعت هذه (الردة عن السلام) في خلط أوراق الحقوق المتوهمة في عقول الجميع في وقت مبكر و لكن بعد أن ثبتت أوتاد خيمة السلام في أرض الواقع في قلب الساحة الخضراء بشهادة ملايين السودانيين الذين صفقوا جمعياً لرجل واحد .. أحد كوكبة صناع السلام وعاهدوا الله وأنفسهم على حمل رسالته من أجل صيانة أمانة الوطن وكان هذه الجماهير كانت تصلى صلاة الإستسقاء لهطول الغيث..رحمة السلام .. برداً وسلاماً على أرض الوطن .. فخرجت من قمم المأساة .. سيدة فاضله .. تؤكد ان وراء كل رجل عظيم امرأة .. أكثر عظمة وأكثر جرأة.

في القول والفعل وليس بالمفاخرة في الإرث أو المكابره بالاثم أو الجهر بالمعصية .. خرجت لتقول: .. ان جون قرنق لم يمت فرسالته ما زالت مشعلا مضيئاً أحمله في يدي .. ورسالة خالدة اتحدث بها لكم ناطقة باسمه .. وشاهدة على جهاده .. ونصيرة لسلامه الذي ضحى من أجله .. لقد كانت (ربيكا) .. اكبر من الحدث كله .. بل صنعت من ضعف الناس قوة .. ومن فرقتهم وحدة .. ومن شتاتهم لمة .. والنف الناس حولها كالتفاف السوار حول المعصم .. وقد قدر الله لهذا الوطن ان يخرج من لهيب الفتنة ويبطل فتيل المأساة عندما غيىض الله له خروج (ربيكا) .. فخرجت حمامة سلام .. من وسط الركام الهائل من الخراب والدمار.

وخرجت لتتحدث حديثاً مؤثراً في مفرداته .. جديداً في عباراته .. صادقا في نبراته .. قويا في إشاراته .. حديث مكلوم يعرض على بقايا وصية .. ونداء زعيم يناضل من أجل قضية. والوصية هي رسالة قرنق الشخصية في الحفاظ على السلام .. والقضية هي أمنيته في وحده الوطن.

لقد كانت (ربيكا) .. أحلام كل أهل السودان مجتمعين في قلب امرأة واحدة ولسان صدق واحد .. وما كان لأبناء الجنوب أو الشمال أن يقولوا بغير ذلك فليس هناك من شقى بالمأساة اكثر من (ربيكا) .. وليس في السودان أدري بخفايا ونبضات قلب قرنق اكثر من (ربيكا) .. لم يصبح بعد قولها قول لقائل .. وقطعت جهيزة قول كل خطيب .. فقد لملمت جراح أسرتها في كفن الفقيد .. ودفنت أحقاد الحرب في تابوت الفقيد .. منذ لحظة وفاته حتى دفن رفاته .. كانت واقفة كالشجرة الوارفة الظليلة في هجير الزوبعة تقول: لقد مات قرنق .. وترك رسالة حية .. فساعدونا لنقوى على حملها .. بأن تكونوا أقوياء أمام هذه المصيبة... فبقوتكم نكون أقوياء .. وبضعفكم وتفرقكم نكون أضعف امام حزني وسوف ابدأ أبكى طوال عمري فقدى قرنق .. ولكن عزائي حتى الآن اننى أحمل وصيته وأدافع عن قضيتة الحية التي لن تموت .. فما أعظم هذه المرأة القوية الأبية... التي دخلت من اكبر بوابات التاريخ في حياة هذه الأمة السودانية المعاصرة.. وصنعت مجدداً لزوجها الراحل .. وقبيلة المحاربين معه .. وجماعة المناصرين له .. وأخيراً وقبل كل شئ انتصرت لقضية الوطن .. هم كل الشعب السوداني في.. السلام والاستقرار والوحدة.

وهذا النذر اليسير من الوفاء و التقدير لعطاء هذه المرأة البصيرة بالحياة النصيرة للسلام الداعية للوحدة .. و الرمز للمخلصين من أبناء الشمال و الجنوب .. جزاها الله عن كل أهل السودان كل خير و ألهما الصبر و السلوان.

إنه نعم المولى و نعم النصير

و لنا عودة باذن الله

دكتور الزين عباس عمارة - أبوظبى